ان هذا البيان يعلن حقوق المواطن ، وسيادة الامة ، كما لم يعلنها بيان الاستقلال الاميركي . وتبعت هذا البيان بيانات . فقد اعلن سنة ١٧٩٠ ان الثورة تدين كل حروب الغزو والاستعمار(٩) . وبحث المجلس الوطني في الثامن عشر من أيار ( مايو ) سنة ١٧٩٠ مسودة بيان دمج جزئيا في مرسوم السابع والعشرين من الشهر نفسه وفي دستور سنة ١٧٩١ جاء فيه : « ان الشعوب والدول ، باعتبارها أفرادا ، تتمتع بنفس الحقوق الطبيعية ، وتخضع لنفس قواعد العدالة » ( المادة الثانية ) . وجاء في دستور سنة ١٧٩١ : « ان الامة الفرنسية تندد بكل حروب الغزو ، وسوف لا تستخدم قواتها أبدا ضد حرية أي شعب »(١٠) .

وهكذا أكدت الثورة الفرنسية حقوق الافراد وحقوق الامم . وأكدت للامم حقوق الافراد في الحرية والمساواة والاخاء . ولكنها أكدت الى جانب ذلك وحدة فرنسا غير القابلة للانقسام ولذلك قرر المؤتمر الوطني المنعقد في ١٧٩٢/٩/٢٥ ان « الجمهورية الفرنسية واحدة غير قابلة للانقسام » . كما قرر في ١٧٩٢/١٢/١٦ : « حكم الموت ضد كل من يحاول : أن يمس وحدة الجمهورية الفرنسية أو أن يقتطع من صلبها أجزاء ليلحقها بأرض أجنبية »(١١) .

واذا كان للمواطنين حق اختيار حكومتهم واسقاطها ، فان من حقهم ان ينفصلوا عنها ، وأن ينتموا الى دولة أخرى . فالسيادة ليست لامة دون أخرى ، والامم متساوية ، ولذلك فانها تملك الحقوق ذاتها . وعندما طرح نائب من الراين الادنى على المؤتمر الوطني الذي خلف الجمعية التشريعية في أواخر سنة ١٧٩٢ سؤالا حول موقف فرنسا من حماية مدينة مايانس Mayence صعد مارا الى المنبر قائلا : « انكم باعلانكم سيادة الامة الفرنسية ، فانكم تعترفون بالتالي بسيادة جميع الامم الاخرى . لقد حررتم جيرانكم من الطغيان ، فلا تتخلوا عنهم حين يرتمون في احضانكم »(١٢) .

وشهدت اوروبه بعد الثورة الفرنسية صراعا دمويا طويلا بين اباطرة اوروبه من جهة ، وبين أباطرة أوروبه وشعوبها من جهة أخرى . فلم تمض سنوات على الثورة الفرنسية حتى كانت جيوشها تغزو أوروبه ، وتشتبك لا مع الاباطرة فحسب كما هي الحال مع بريطانيا والنمسا وروسيا بل مع الشعوب ايضا كما هي الحال مع اسبانيا وبلجيكا والمجر وبروسيا . وما تلبث الولايات المتحدة ان تؤيد حرب الاستقلال في اميركا الجنوبية ، مؤيدة « شرعية انفصالها » .

وعندما هب الشعب اليوناني مناضلا من أجل استقلاله أيده الرأي العام الاوروبي ، وسانده مفكرون كبار من مثل شاتوبريان ولورد بايرون . وكان حق الشعب « ... في أن يقيم لنفسه اطاره الفردي الذي يتمشى مع ارادة حياته الجماعية » ... « من المبادىء الحيوية التي تحرك حرب تحرير اليونانيين والاحلاف التي تساند قضيتهم »(١٣) .

وقامت ثورات ١٨٤٨ في أوروبه فهزت العروش والاباطرة ، وفرضت الدساتير ، ولكنها لم تغير من تكوين أوروبه القومي .

ولذلك ظل مفكرو أوروبه وقادة الحركات القومية يطرحون قضية حق الشعوب باستقلالها ، وتعود فرنسا سنة ١٨٤٨ الى اعلاء صوتها . ان لا مارتين وزير الخارجية يؤكد في بيان خاص : « أما وساعة انبثاق بعض القوميات في اوروبه ، او في غيرها ، قد دقتها العناية الالهية ، فانه اذا عانت سويسرا حليفتنا المخلصة الضغط أو التهديد ، واذا تعرضت الدويلات الايطالية المستقلة للغزو ، واذا أقيمت العقبات او القيود في وجه تطورها الداخلي ، واذا ما أنكر عليها أحد ، بقوة السلاح ، حقها في أن تتحالف فيما بينها من أجل «اقامة وطن ايطالي» ، فان الجمهورية الفرنسية تجد من حقها ان تتسلح لتحمي هذه « الحركات الشرعية » حركات نمو الشعوب وحركات قومياتها » .